المنتمية الى حقول الفنون والاداب والمتعلقة بها، فهي بانخراطها الكلي في صميم العملية الثورية، وانتمائها في الجوهر والممارسة الى فعل الثورة، تتحول الى قوة مادية محرّكة، تدفع، وتوجه، وتُنقّي.. فتزيد من فعالية الفعل.

والثقافة كفعل ينتمي للثورة، هي ممارسة ثورية بالضرورة، لها شكلها الخاص الذي يختلف عن شكل الرصاصة، والتظاهرة، وحبر المطبعة السرية، رغم أنها جميعاً تتقارب في المجرى، وتلتقي عند المصب، لتغذي البحر الكبير.

الثقافة فعل، وان اختلفت أشكال الأفعال، فان ذلك لا ينقص من قيمة الفاعلية، ولا يبرر نفي أو تصغير أهمية ودور أحدهما لحساب الآخر. والمثقف الذي ينتمي الى الثورة، بفعل قلمه أو ريشته أو غيرهما من وسائل التعبير الفني، هو فاعل بالضرورة، وثوري بالضرورة إذا ما استطاع تحقيق المعادلة الصعبة بين ضرورة الالتزام وهاجس الابداع. فلا فرق كبير بين الانتماء إلى فعل الرصاصة والانتماء الى فعل الكلمة أو الابداع، فكلها انتماء إلى الفعل الاكبر، أو بتعبير آخر.. «أن تنصهر في لهب الثورة، حرباً، وأن تنصهر فيه، كتابة، سواء»[1].

والثقافة، عدا عن كونها فعلاً، هي حلم. والثوريون حالمون في طبعهم. وليس أدل على ذلك الا مطلب لينين القائل بأن على الإنسان أن يحلم. وكان مدركاً لمعنى الحلم المرتبط بحركة الواقع، والخاضع لامكانيات التحقق عن طريق الفعل الثوري. فالثقافة كحلم ينتمي للثورة، هي ممارسة ثورية بالضرورة. انها تنزرع في ارث الماضي الايجابي، وترتبط بحركة الحاضر المتحوّل، وتعبر عن تشوفات انسانية مستقبلية، قابلة للتحقق، بفعل الإنسان الذي ينتمي اليها. انها «..تضرب جذورها في أعماق الحنين البشري الدائم للأفضل من خلال العمل الاجتماعي»[2].

والثقافة الثورية تنتمي الى الكلي والشمولي والإنساني العريض، دون أن تلغي بذلك خصوصيتها. أو على الأصح، أنها لا تحقق السمات الكونية هذه قبل تحقيق خصوصيتها وتأكيد أصالتها أولاً. وهي تنتمي للاستراتيجي، وتنأى عن السقوط في بريق الآني، والخاطف، وسريع التبدل.

وبسمتها الشمولية هذه، تقوم الثقافة بعملية التجذير طويل الأمد، في العقل والوجدان الجمعي. تنهل من الحس الشعبي وتعطيه، تستفيد منه كي تعيد صياغته لتفيده. وهي في أصالتها تستطيع الوصول الى العقل والضمير والوجدان العالمي. فبالأصالة والابداع، يرتقي الانتاج الثقافي الى مرتبة اللغة الكونية القادرة على تحقيق عملية التواصل الأوسع.

الثقافة الفلسطينية وزمن القرار

والثقافة الفلسطينية، في جوهرها، وفي تراثها الطويل، تنتمي الى التقدمي والإنساني والمستقبلي، كونها تعيش وتتنامى في ظل مناخ يشهد صراعاً تناحرياً، وهي تعلن انحيازها القاطع الى أحد الحدين، المدافع عن الحق، والعدل، والإنسان. انها تقف في وسط الدرع، حيث تتصدى لأيديولوجيا شوفينية لم يتردد المجتمع الدولي في اعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري[3] وتشكل موجهاً للممارسة